

اسم المقال: مراجعة مقال: (النهاية المأساوية لنوري السعيد)

اسم الكاتب: د. طالب حسين حافظ

رابط ثابت: <https://political-encyclopedia.org/library/7555>

تاريخ الاسترداد: 2025/04/20 08:12 +03

الموسوعة السياسية هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناءمجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.

لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسية – Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسية – Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع <https://political-encyclopedia.org/terms-of-use>

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة قضايا سياسية الصادرة عن كلية العلوم السياسية في جامعة النهرين ورفده في مكتبة الموسوعة السياسية مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكرية ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينصوبي المقال تحتها.



النهاية المأساوية لنوري السعيد

د. طالب حسين حافظ*

لم تكن نهاية حياة نوري السعيد مأساوية بالمعنى المجرد المعروف للمأساة، بل كانت خاتمة تراجيدية تعكس في كثير من مشاهدها هذه البقعة من الأرض المكللة بالحزن والسود والقسوة.. هذه المشاهد التي يبدو أنها وكما ترعرعت في هذه الأرض لا تريد أن تغادرها بسهولة، فقد عاد المشهد الدامي بعد أقل من أربع سنوات ونصف، ليتكرر بصورة جماعية أشد قسوة وعنفاً ودماراً ليتمتد لسنوات أخرى طوال .

في 14/7/1958 لم يجد نوري السعيد واسع الشهرة والنفوذ والسلطة، بيتاً يأويه في العراق كله، وأضطر إلى التخفي بطريقة غير لائقة، وقتل بأبشع صورة، ومثل به بوحشية على يد هذا السيد الطاغية الأعمى المنطلق من عقاله المسمى "الجموع الثائرة" دون قيادة... وفي هكذا حال خرج النفس البشرية أسوأ ما فيها، وهذا هو الذي جرى ، فلا قادة للثورة ولا أية جهة أخرى كانت قادرة على منع ما حدث، أو إصدار جهة أخرى كانت أو قرار يمنع وقوعه ... إنها متلازمة الثورة الشعبية !!!

بالتأكيد هناك أسباب ذاتية وأخرى موضوعية لذلك المشهد المأساوي لـ 14/7/1958 بشكل قلما تجسد مع شخصية أخرى عبر الزمنة والمكان . نتمنى أن تكون موضوعين ونحن نؤشر بأسى بعضاً من تلك الأسباب :

1- داء السلطة وما تجسده من حب الذات:

اصبح نوري السعيد رئيساً للوزراء أربع عشرة مرة، وزيراً سبعاً وأربعين مرة، منها أربع عشرة مرة وزيراً للدفاع.. كان هو الحكم الفعلي المؤثر سواء من موقعه داخل السلطة أو خارجها كان له الدور الالهم في الحياة السياسية العراقية منذ قيام الدولة العراقية في بداية عشرينيات القرن الماضي حتى 14 تموز 1958 .. وبسبب انعكاسات ذلك وبريق السلطة، فقد نسي أن أعباء العقد الثامن من العمر تختلف تماماً عن أيام

* استاذ العلوم السياسية المساعد / مؤلف كتاب دولة العراق المعاصر .

الشباب، وإنه لا يمكن لرجل أن يقوم مقام أمة . و بسبب دوره الطاغي، كان دور مجلس النواب وسبل الحماية الدستورية حبراً على ورق، وبرز تباهٍ واضحٍ بين النظرية التطبيقية .

2- سياسة المراسيم :

اعتاد نوري السعيد مدعوماً من الانجليز ، ومنذ ان اصبح رئيساً للوزراء لأول مرة في اذار 1930، ان يرى نفسه صاحب الرأي المسموع في اختيار معظم الوزراء ، بل في اختيار بعض رؤساء الوزراء احياناً لاسيما بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية في ايلول 1939، فعندما الف الدكتور فاضل الجمالي وزارته في ايلول 1953، اعلن نوري السعيد انه لم يستشر في تأليف هذه الوزارة ، وسافر على اثرها غاصباً الى لندن، وهناك استطاع ان يقنع الدوائر البريطانية المختصة بأن مصالحهم في العراق ستفقد الحماية اللازمة بعد ان تكتلت مختلف قوى المعارضة في جهة واحدة ودخلت في مجلس نيابي جديد يسيطر عليه الوصي عبدالله ، وتحت ضغط السفير البريطاني في بغداد ، سافر الوصي خصيصاً لاسترضاء السعيد ، وحمله على العودة انشاء وزارة تأخذ على عاتقها مجابهة الاحداث المنتظرة على ان تعطى له الحرية المطلقة في توزير من يشاء . وهكذا عاد نوري السعيد الى بغداد ، إذ وجه رسالة الى الملك فيصل يضع فيها شروطه المسبقة وقد رد الملك على ذلك وتم حل مجلس النواب تمهدًا لإجراء انتخابات جديدة.

ويشكل نوري السعيد في آب 1954 وزارته الجديدة على الاسس التي فرضها.

وانسجاماً مع الذات وتهيئة لانتخابات الجديدة وما مستطاعه به من سياسات منها التهيئة لـ "إنشاء" حلف بغداد "، وما سماه من تطهير جهاز الدولة من العناصر الهدامة والفاشية، ومكافحة الموالين للاستعمار ! فقد صدرت سلسلة من المراسيم :

1. أ. المرسوم المرقم 16 لسنة 1954 : تعديل قانون العقوبات البغدادي المرقم 51 لسنة 1938 سواء كان ذلك بصورة مباشرة او غير مباشرة بتهمة الترويج للشيوعية ، لأنصار السلام و الشبيبة الديمقراطية وما الى ذلك .

ب. المرسوم المرقم 17 لسنة 1954 : اسقاط الجنسية العراقية للمحكوم وفق القانون المذكور اعلاه.

ج. المرسوم المرقم 18 لسنة 1954 : غلق النقابات .

د. المرسوم المرقم 19 لسنة 1954 : اغلاق الجمعيات والنادي في كافة احياء العراق وكان عددها (465) جمعية ونادي .

هـ. المرسوم المرقم 24 لسنة 1954 : الغاء اجازات الصحف والمجلات .

وـ. المرسوم المرقم 25 لسنة 1954: منع الاجتماعات العمومية والمظاهرات .

و ضمن سياسة المراسيم، اجريت انتخابات جديدة قاطعتها معظم الاحزاب السياسية واجريت الانتخابات بمهرزلة لم يشهد لها تاريخ البرلمان العراقي نظيرًا، فقد فاز بالتزكية (121) نائب من اصل (135) .

كانت هذه الوزارة السعيدية الثانية عشرة ، وما اجرتها من سياسة المراسيم وانتخابات هزلية ، الحد الفاصل النهائي بين ما تبقى من نوري السعيد وجماهير الشعب ، فقد اثبتت اولاً: تبعيته المطلقة للانجليز ، واشرت ثانياً : الخلافات العميقة بينه وبين الوصي ومن خلفه الملك وهشاشة ما يسمى بالعائلة المالكة .

2- نتائج حرب 1941 في العراق :

كانت انعكاسات هذه الحرب مأساوية على الجيش العراقي، فقد تم حل الجيش جزئياً والتكميل بقيادة حركة مأيس والانتقام منهم وتعليق جثامينهم في بوابة وزارة الدفاع العراقية . ذلك ترك جرحاً لم يندمل في نفوس الضباط الذين وجدوا في ثورة 14 تموز 1958 فرصة لن تتكرر للانتقام ..

ان مجريات تلك الحرب والحركة، افرزت معتكرين متضادين ، هم السلطة (الوصي ونوري السعيد) الذين عادوا الى الحكم بمساندة الانجليز ، بمواجهة الشعب الذي خرج لتأييد الجيش المنقض .. ومرة اخرى عزل نوري السعيد نفسه في الخندق المضاد لجماهيره.

3- حرب العام 1948 وإنشاء (اسرائيل" الكيان الصهيوني") :

على الرغم من كل ماقيل عن تلك الحرب ونتائجها ، وعلى الرغم من ان مشاركة القوات العسكرية العراقية كانت افضل بكثير من مشاركات الجيوش العربية مجتمعة إلا ان الهزيمة التي الحقت الجيوش العربية المشاركة وإنشاء (اسرائيل) بدعم غربي مكشوف ، زاد من عزلة السلطة في العراق .. وبدأت موجة السخط تسرى في صفوف الضباط العرب ، الذي كان باكورتها تغير ثورة 23 يوليو 1952 في مصر ثم ثورة 14 تموز 1958 في العراق .

4- حالة الاستقطاب الدولي :

اسفر انتهاء الحرب العالمية الثانية عن بروز معسكرين متضادين مختلفان عقائديا، ونتج عن ذلك ما عرف بالحرب الباردة، وظهور احلاف تدور في رحى ذينيك القطبين الكبيرين (الاتحاد السوفيaticي والولايات المتحدة) ومنها حلف بغداد .

وهكذا اضحت العراق - سيمما بعد ان قطع علاقاته الدبلوماسية مع الاتحاد السوفيaticي في كانون الثاني 1955 - بيدقًا بإمرة المعسكر الغربي، وبذلك جلبت السلطة الحاكمة (المختار) سخط الرأي العام العراقي والعربي عليها . وكان قطب الرحى في ذلك التحرك المحموم هو نوري السعيد . تزامن ذلك مع موجة كبيرة من الاستقلال والتحرر الوطني عممت دول العالم الثالث بدعم من الاتحاد السوفيaticي والكتلة الشرقية في وقت كان فيه بريق الاشتراكية والشيوعية وموجة القومية العربية ليس له منافس .. كان ذلك في وقت بدأ فيه نفوذ الاستعمار الغربي بالأقول، سيمما بعد مؤتمر باندونغ وظهور حركة عدم الانحياز . وهكذا كان الرأي العام العراقي مدفوعاً بقوة ضد المعسكر الغربي، وما يمثله نوري السعيد والسلطة الملكية الحاكمة .

في ذلك الظرف الحاد من الاستقطاب الدولي، تحول العراق بعد ان اصبحت بغداد مقراً لحلف غربي، الى ساحة صراع عنيفة بين الجماهير والسلطة من جهة، وبين موجة القوى القومية العربية الصاعدة والأنظمة اليمينية المحافظة من جهة اخرى ... وكان نوري السعيد هو الرمز الواضح في كلتا جهتي الصراع .

5- حرب السويس 1956 :

مرة اخرى اختار نوري السعيد ليقلي بنفسه طوعاً في عش الدبابير أبان تلك الحرب التي انتهت (سياسيًا) بانتصار جمال عبدالناصر، سيمما وقد اصبح مكتوفاً موقفه المحرض لبريطانيا في ضرب جمال عبدالناصر . كان من الممكن ان تمر الامور بصورة اخرى، لو لا اشتراك (اسرائيل) في تلك الحرب ضد مصر ، وما اشيع من استخدام بريطانيا لقواعدها الجوية في العراق في تلك الحرب .

استغل جمال عبدالناصر تلك الحرب ونتائجها لشن حملات اعلامية وسياسية عنيفة ضد نوري السعيد، واضحت اذاعة صوت العرب وتعليقاتها التي كانت تسمع في كل العراق، منبراً عالياً للطعن في سياسات نوري السعيد وارتباطاته بالغرب، مما زاد في عزلته وكره الشعب العراقي له .

6- الانجليز وسياسة (الخنق النفطي) وتوجيه الشعب :

من المعروف ان النفط كان واحداً من اهم اسباب تشتيت الانجليز باحتلالهم للعراق اثناء الحرب الاولى ثم استعماره بذلك وعلى الرغم من ان العراق كان ثاني دولة في التسلسل الزمني بعد ايران في انتاج النفط، إلا ان الانجليز ولأسباب خاصة جعلوا من العراق بلداً متدنياً في الانتاج النفطي، لا بل حتى ادنى من انتاج الكويت أو السعودية اللاتي بدأتا انتاج النفط بعد العراق بسنوات . ولم يكتفوا بذلك، بل حرموا العراق من نسبة عائداته المقررة . وبهذه السياسة حرموا العراق لمدة ربع قرن من الازدهار والتقدم وبالتالي فإن ذلك انعكس سلباً ونفمة على رموز الانجليز في العراق وفي مقدمة منهم نوري السعيد .

7- الصراع بين نوري السعيد وعبدالله :

خرجت بريطانيا من الحرب العالمية الثانية بلداً ضعيفاً بعد ان كانت امبراطوريتها لا تغيب عنها الشمس وبدأت الولايات المتحدة تحل تدريجياً لتأخذ مكانها في العالم (بسمعة جيدة) انعكس ذلك صراعاً خفياً بين القوة الصاعدة والقوة العجوز، وكان ما انعكس عليه في العراق ، صراع بين الوصي عبدالله ونوري السعيد .. ولحسابات قد تكون خاطئة، ظل نوري السعيد متشبثاً بالانجليز حتى اخر لحظة

8- هشاشة الحكم والعائلة المالكة :

كشفت الساعة الاولى من صباح ذلك اليوم الدامي 14 تموز 1958 عن هشاشة النظام القائم، فقد تم تصفيية العائلة المالكة، والقبض على معظم رجالات السلطة بسرعة غير متوقعة، واتضح زيف ما يسمى(العائلة المالكة) وسطوتها . لقد انهار كل شيء في بضع ساعات ولم يجرؤ احد على اصدار امر مضاد او تحريك ساكن . كما لا يمكن عزل النهاية المأساوية لنوري السعيد عن طبيعة المجتمع العراقي الميالة للعنف الصعبة المراس والانقياد .

ويبقى التذكير بالحدث استعادة لذكرى مؤلمة .

مراجع :

- طالب حسين حافظ : دولة العراق المعاصر (بغداد ، دار الكتب العلمية ، 2021) .
- طالب حسن حافظ : النفط والسياسة في العراق (بغداد : دار الكتب العلمية ، ط2، 2021) .